البيروقراطية في الإدارة

د.منصور محمد الهزايمة

تُعْتَبَرُ البيروقْراطِيَّةُ مِنْ نَمَاذِجِ الإدَارَةِ العَرِيقَةِ الَّتِي عُرِفَتْ مُنْذُ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَنِ عَلَى أَقَلِّ تقديرحيث صِيَاغَتْ وَقْتَذَاكَ قَوَالِبُ ثابتَةٌ اُعْتُبِرَتْ الأصلح فِي تَصْرِيفِ الأَعْمَالِ وَرُبَّمَا كَانَتْ فِي حِينِهِ تُمَثِّلُ نَهْجًا إِدَارِيًّا يَسْتَحِقُّ الاتِّبَاعَ لا سِيَّمَا فِي المُؤَسَّسَاتِ الضَّخْمَةِ الَّتِي تَضُمُّ أَعْدَادًا كَبِيرَةً مِنَ العَامِلِينَ وَمُسَمَّيَاتٍ وَظِيفِيَّةً عَدِيدَةً لَكِنَّهَا اليَوْمَ أَضْحَتْ فِي أَذْهَانِنَا تَرْتَبِطُ بِالتَّعْقِيدَاتِ المَكْتَبِيَّةِ وَكَثْرَةِ الأَوْرَاقِ وَالطَّوَابِيرُ وَصَارَتْ تُوصَمُ بِأَنَّهَا مُرَادِفُ التَّعْقِيدِ لا أَكْثَرُ.

أَبْسَطُ تَعْرِيفٍ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الإِدَارَةِ هُوَ "تَطْبِيقُ اللَّوَائِحِ وَالقَوَانِينِ بِالقُوَّةِ فِي المُجْتَمَعَاتِ المُنَظَّمَةِ وَتَعْتَمِدُ عَلَى الاجْرَاءَاتِ المُوَحَّدَةِ وَتَوْزِيعُ المَسْؤُولِيَّاتِ بِطَرِيقَةٍ هَرَمِيَّةٍ" أَمَّا إِذَا نَزَعْنَا إِلَى التبسيط أكثر فهيَ "سُلْطَةُ المَكْتَبِ". عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ظُهُورِ أَشْكَالٍ جَدِيدَةٍ لِلإِدَارَةِ فِي وقت لاحقٍ أَكْثَرَ تَطَوُّرًا وَأَسْرَعَ إِنْجَازًا وَتَحْقِيقًا لِلغَايَاتِ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا هُوَ الحَالُ فِي جَمِيعِ مَفَاصِلِ الحَيَاةِ لِدِينَا فَالتَّغْيِيرِ دُونَه خرطِ القتاد بَلْ رُبَّمَا تَنْعَكِسُ بِنَا الحَالُ لِنَكُرَّ أَنْفُسَنَا وَتَجَارِبَنَا آملين أَنْ نُصَادِفَ نَتَائِجَ مُغَايِرَةً.

يُقَالُ أَنَّ قَائِدًا عَسْكَرِيًّا زَارَ مُعَسْكَرًا فَوَجَدَهُمْ يَقُومُونَ بِبِنَاءٍ جَدِيدٍ فَأَقْتَرَحَ أَنْ يَقُومَ أَحَدُ الجُنُودِ بِالوُقُوفِ عِنْدَه حَتَّى يَجِفَّ لِيَعُودَ القَائِدُ بَعْدَ أُعْوَامٍ إِلَى المُعَسْكَرِ نَفسه وَيَجِدُ جُنْدِيًّا مُسَلَّحًا يَقِفُ إِلَى جَانِبِ البِنَاءِ فَيَسْأَلُ عَنْ الغَرَضِ مِنْ ذَلِكَ فَيُجَابُ بِأَنَّهَا "أَوَامِرُكَ سَيِّدِي !. المُؤَسَّسَاتُ الَّتِي تَضُمُّ أَعْدَادًا كَبِيرَةً مِنَ العَامِلِينَ بِمُسَمَّيَاتٍ وَظِيفِيَّةٍ كَثِيرَةٍ تَلْجَأُ إِلَى اسْتِخْدَامِ هَذَا النَّهْجِ مِنَ الإِدَارَةِ رَغْبَةً فِي رُكُوبِ السَّهْلِ حَيْثُ تَضْمَنُ البيروقراطية تَحْدِيدَ الأَدْوَارِ وَالمَسْئُولِيَّاتِ وَالقِيَامَ بِالوَاجِبَاتِ بِقُوَّةِ القَانُونِ دُونَ هَوَادَةٍ أَوْ مُرُونَةٍ وَدُونَ الْتِفَاتٍ إِلَى أَيَّةِ اعْتِبَارَاتٍ لَا تَرْتَبِطُ بِأَهْدَافِ المُؤَسَّسَةِ المَعْزُولَةِ تَمَامًا عَنْ حَيَاةٍ وَخُصُوصِيَّاتِ العَامِلِينَ بِهَا.

يَجْدُرُ فِي أَيَّةُ مُؤَسَّسَةٌ أَنْ تَسْعَى إِلَى التَّطْوِيرِ بِاسْتِخْدَامِ أَدَوَاتٍ تَتَّسِمُ بِالمُرُونَةِ وَتَبْسِيطِ الإِجْرَاءَاتِ وَالمُشَارَكَةِ فِي صُنْعِ القَرَارِ لَكِنَنَا نَجِدُ غَالِبًا أَنَّ مُعْظَمَ المُؤَسَّسَاتِ مَا زَالَتْ تَنْزِعُ إِلَى المُغَالَاةِ فِي تَطْبِيقِ اللَّوَائِحِ وَالقَوَانِينِ مِنْ خِلَالِ اتِّبَاعِ سِيَاسَةِ الجُمُودِ وَالرُّوتِينِ وَتَتَبُّعِ سِيَاسَةِ الأَبْوَابِ المُغْلَقَةِ وَهَذَا بُدُورُهُ يَدْفَعُ لِنُمُوِّ جَمَاعَاتٍ وَعَلَاقَاتٍ سِرِّيَّةٍ مُوَازِيَةٍ غَيْرِ رَسْمِيَّةٍ تُؤَثِّرُ سَلْبًا فِي اتِّخَاذِ القَرَارِ.

فِي الوَقْتِ الَّذِي قَدَّمَتْ فيه البيروقْرَاطِيَّةُ نَهْجًا إِدَارِيًّا حَقَّقَ نَجَاحًا فِي وَقْتِهِ فَإِنَّ العُيُوبَ طَفَتْ سَرِيعًا عَلَى السَّطْحِ مِنْ خِلَالِ التَّجْرِبَةِ وَالتَّطْبِيقِ حَيْثُ تبين أن هذا النَّهْجُ فِي الإِدَارَةِ مُعَاكِسًا تَمَامًا لِلنَّهْجِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ فهوَيَتَشبث بِهَرَمِيَّةِ السُّلْطَةِ مِمَّا يُفْضِي إِلَى سُوءِ اسْتِخْدَامِهَا وَيصر عَلَى تَنْفِيذِ اللَّوَائِحِ ضِمْنَ أُطُرٍ كِتَابِيَّةٍ تُهْدِرُ الكَثِيرَ مِنَ المَسَاحَةِ وَالوَقْتِ وَالمَالِ وَيَتَغَاضَى عَنْ الاحْتِيَاجَاتِ وَالمَشَاعِرِ الشَّخْصِيَّةِ وَفِي النَّتِيجَةِ فَإِنَّ الِالْتِزَامَ الصَّارِمَ بِاللَّوَائِحِ يُصْبِحُ هَدَفًا مَقْصُودًا لِذَاتِهِ فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ يَقْتُلُ رُوحَ المُبَادَرَةِ وَالإِبْدَاعِ مِمَّا يُؤَدِّي بِرُؤْيَةٍ وَرِسَالَةِ المُؤَسَّسَةِ إِلَى المَجْهُولِ.

أَتَسَاءَلُ دَائِمًا لِمَ لَمْ يُوجَدْ لَدِينَا نَمُوذَجٍ عَرَبِيٍّ أَوْ إِسْلَامِي فِي الإِدَارَةِ كَمَا النَمُوذَجِ اليَابَانِي شَرْقًا أَو الأَلْمَانِي غَرْبًا عِلْمًا بِأَنَنَا نَمْتَلِكُ الإِطَارَ الدِّينِيَّ وَالقِيَمِي وَالأَخْلَاقِيَّ الَّذِي يُمَجِّدُ العَمَلَ وَالعُمَّالَ وَيُكَرِّمُ العِلْمَ وَالعُلَمَاءَ وَيُحَثُّ عَلَى الإِجَادَةِ وَالإِتْقَانِ لِبِنَاءِ نَمُوذَجٍ إِدَارِيٍّ رَاقٍ. أَخْشَى اليَوْمَ أَنَّ نَهْجَنَا العَرَبِيَّ فِي الإِدَارَةِ بات يَقْبَعُ فِي ظِلِّ ثَلَاثِ "عِينَاتٍ" عنجهية وعنصرية وَغَصَّاً غَلِيظَةٍ مدعومًا –طبعا– بشلة المحيطين مِنَ المُنَافِقِينَ ودفعا لتُهْمَةِ التَّشَدُّدِ نَقُولُ "إِلَّا مِنْ رَحِمِ رَبِّي".

يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان التالي jadl@albiladdaily.com

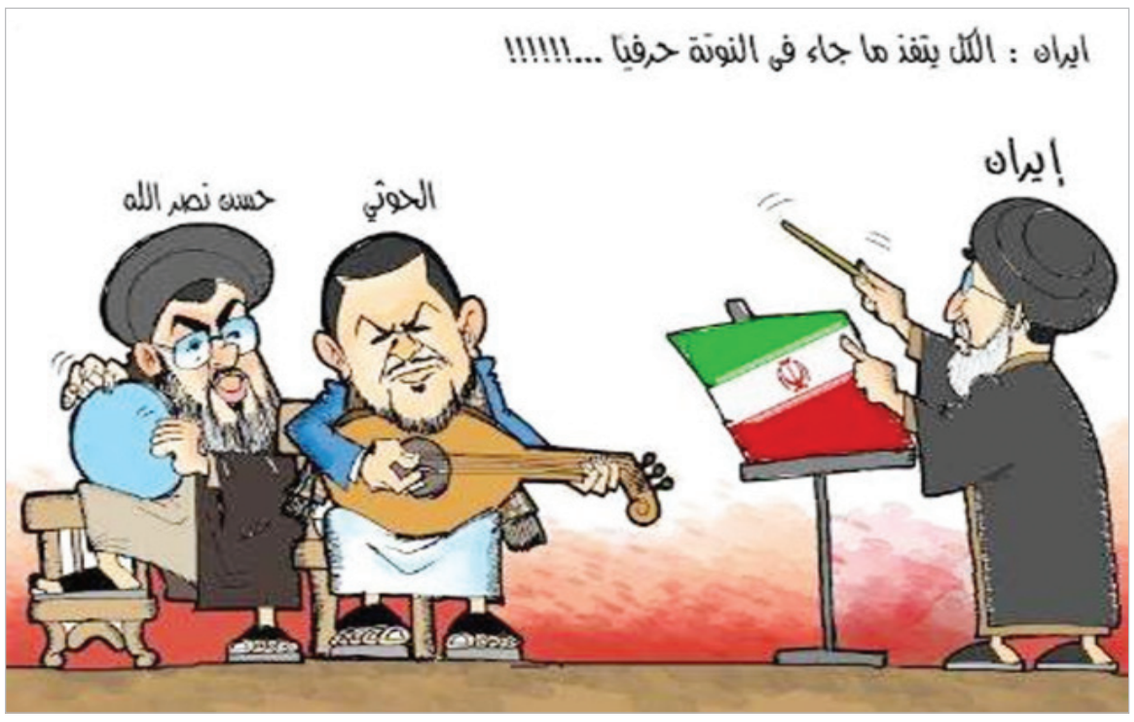

الرئيس الأمريكي المقبل

ناجح شاهين

ليس من السهل أبداً التنبؤ بالمزاج الشعبي في آخر لحظاته. لكننا منذ البداية توقعنا أن الحزب الديمقراطي سيرشح هيلاري بينما سيرشح الحزب الجمهوري ترامب. اليوم نرجح بقوة أن كلينتون هي الرئيس الخامس والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية. لماذا؟

بسرعة نقول إذا تساوت كل النقاط – ونزعم أنها متساوية– فإن كلينتون ستفوز بسهولة لأنها امرأة؛ لأنها المرأة الأولى التي ستدخل البيت الأبيض رئيسا لا زوجة للرئيس. لقد "أنجزت" الولايات المتحدة "شكلياً" مساواة السود عن طريق وصول خريج هارفارد الأسمر ميشيل حسين أوباما إلى البيت الأبيض في تمثيلية هزلية لتحقيق السود "أخيراً" أكبر رمزية شكلانية للمساواة، ألا وهي الوصول إلى الرئاسة ذاتها.

الآن الولايات المتحدة لم يبق لديها ما ينتقص من جمال لوحة الديمقراطية الأعرق في العالم الحديث إلا عدم وجود امرأة في منصب الرئيس. ولا بد أن هذا الأمر يلهب الآن خيال الناس البسطاء في نواحي القارة الواسعة المترامية الأطراف التي تدعى الولايات المتحدة. لكن كلينتون نفسها تمتاز بأمور واضحة في نظر الجمهور تجعلها جذابة على نحو لا يستهان به:

١. كلينتون تتمتع بجاذبية جمالية واضحة منذ كانت زوجة البلي بوي PLAYBOY بيل كلينتون، كانت شريكته الشابة الحسناء على امتداد فترتي رئاسته وما قبلها.

٢. كانت هيلاري ضحية نزوات الفتى الوسيم "بيل". ولكنها تحملت من "أجل العائلة"، أو هذا ما يحب الأمريكي العادي أن يصدقه، على الرغم من أن "الخبراء" يعرفون أنها تحملت الإهانات المختلفة من أجل أن لا تخسر امتيازات "شراكة" شخص "ناجح" مثل "بيل".

٣. تمثل هيلاري نجاح المرأة الأمريكية أكاديميا وسياسيا، وتعبر عن طموحات "اليسار الليبرالي النسوي" في حصون الشمال الأكاديمية خاصة من قبيل كولومبيا وهارفارد وبرنستون وبنسلفانيا.

> **هيلاري ستفوز بالضربة القاضية على ترامب الذي لا يعرف حتى كيف يكون متطرفاً.**

لكن الأمر لا يقتصر على ذلك بل يتجاوزه إلى مستوى التحالفات العميقة مع رأس المال الضخم الذي يدير المجمع الصناعي العسكري: كلينتون لا تخفي أبداً غزلها الصريح الموجه نحو هذا الفريق الذي يقرر شروط اللعبة الان أكثر من غيره على ما يبدو، وذلك بوعدها الواضح بمواصلة الحرب المقدسة ضد "الإرهاب" إلى أن يأذن الله أمراً كان مفعولا. وهذا بالطبع يشكل استمراراً لوصفة الرئيس الأسمر الحاصل على جائزة نوبل بأن تشن الحرب على داعش والإرهاب عموما مدة تزيد على ثلاثين سنة. ويبدو لنا في هذا السياق أن وصفة الحرب في هذا العصر "الحزبي" هي من نصيب الحزب الديمقراطي ربما لأن الحزب الجمهوري الذي يستند بوضوح أكبر إلى مجمعات رأس المال النفطي من بين مجمعات أخرى ليس تواقاً إلى المزيد من الحرب، ويبدو أنه في حاجة الآن إلى استراحة ما تسمح ببيع الغنائم التي تم الاستيلاء عليها بجهود بوش المباشرة ثم بجهود الإسهام في مشروع الربيع العربي بشكل مباشر أو غير مباشر.

هيلاري كلينتون هي الشقراء الناعمة اللطيفة الذكية الناجحة الجذابة، رمز النسوية، ورمز المحافظة الأسرية، وأمل المجمع الصناعي العسكري، وأخيراً عاشقة "إسرائيل" التي سترمم ما ألحقه أوباما من أذى مزعوم بعلاقات الولايات المتحدة "إسرائيل".

هيلاري ستفوز بالضربة القاضية على ترامب الذي لا يعرف حتى كيف يكون متطرفا. مبروك للولايات المتحدة رئيسا ناعما آخر على طريقة أوباما، ومنظفات الغسيل القوية: ناعم "على" الإعلام، شديد ومتوحش وفعال ضد العرب والروس والصينيين والفقراء داخل بلاده وخارجها.

مفاجآت لا تخضع للتحليل

د.محمد جميعان

اكثر ما يلفت الانتباه هذه الايام حول ما يجري في المنطقة تلك التحليلات العسكرية والسياسية المكررة التي تكاد تكون نسخة واحدة مع اختلاف الفواصل والفقرات رغم اختلاف مقدميها عبر الفضائيات والمواقع ووسائل الاتصال الاجتماعي او ما يطلق عليهم بالخبراء والمحللين ..

تصريحات وتحليلات وتنبؤات صريحة تنقلها وسائل الاعلام المختلفة حول حرب عالمية ثالثة ، منطلقة عما يجري من تداخلات دولية وعسكرية ودموية وسياسية واعلامية ومذهبية وفكرية متضادة ومتضاربة يصعب تفكيكيها ..

تابعوا ما يجري سيما ميدانيا في حلب وما يجري الحديث عنه في الموصل لاحقا...

حشود دولية لا سابقة لها..

تسابق من له السبق أكثر ..

مستوى عنف ودموية ومجازر غير مسبوقة..

تحد عنيف متبادل بين العراق وتركيا..

تحد عنيف مبطن بين الروس والامريكان..

اصطفافات وتخندق بعضها مفاجئ وغير متوقع يدفع باتجاه التأزيم المرعب..

تتابع سياقات الاخبار مفاجآت وقابلة للانفجار بكل الاتجاهات...

هناك امر ما يجري الاعداد له ربما حتى اعظم مما نسمع رغم عظمه..

ما يجري قد يتخطى حرب عالمية ثالثة ، بما تعني كلمة حرب وعالمية من اعتبارات اهمها ثلاث:

الاولى : اهداف محددة

الثانية:سيطرة نسبية عالية على مسرح العمليات

الثالثة: جلوس الاطراف بعد انتهاء الحرب لاعادة تقسيم المنطقة وما فيها من مصالح لهم..

قياسا بما جرى في الحربين العالميتين الماضيتين الاولى والثانية نرى ان ما يجري الان غامض والاهداف متداخلة ومتناقضة والسيطرة شبه مفقودة ان لم تكن مفقودة تماما وحصد النتائج غير مضمون الا اذا كان القياس حسب ما هو مدون على الورق من خطط لا تراعي توالد ردود الفعل وما يترتب على هذا التوالد من بروز جماعات اكثر عنفا وسطوة جراء سوء التقدير والتسرع والغرور والافراط في استخدام القوة والسلاح مقابل الاستهتار بقوة الخصم المقابل ..

من هنا فالحديث عن حماقات قادمة هو الاقرب اذ نجد منها احتمالية ثلاثة :

الاولى : حماقة سوء التقدير والقرار

الثانية : حماقة سوء السلوك من غرور امتلاك القوة الكاسرة وعناد استخدامها

الثالثة : ما يسوقه القدر لحكمة نجهلها

فكيف اذا التقت الثلاث...؟!

مفاجآت ومصائب متوالدة ومتدحرجة نتيجة تفاعل الفعل ورد الفعل وحجم الدماء والاشلاء والظلم والاستعجال في قطف المغانم وتحقيق المصالح مهما بلغت الدماء ما دامت القوة العسكرية والامنية قادمة من اعظم الدول واقدرها والامكانات بلا حدود ..

الاستثمار في الأبناء

د. أكرم ابراهيم حماد

اعتدت المرور يومياً وأنا عائد من صلاة المغرب من طريق كثيراً ما أشاهد فيها شاباً واقفاً على ناصية من الطريق وهو يحدق بكل وجدانه في جهاز المحمول بين يديه ، وأستشعر أصابعه تعبث بشاشة الجهاز، ويستمر على هذا الحال ساعات ، وعندما استفسرت عن سر وقفته في هذا المكان كانت الإجابة بأنه في هذا المكان يستطيع التقاط موجات أو ترددات الاتصالات اللاسلكية لبعض المشتركين بشبكات الانترنت من الساكنين بالجوار، وأن لديه القدرة على استغلال هذه الشبكات للتواصل ولتصفح الانترنت على جهازه ، وعرفت السبب وزال عجبي من سر وقفته في المكان، ولكن هذا لم يدم طويلاً وعاد لي الاستغراب من جديد عندما وجدت طفلاً أيضاً بدأ يقف في المكان بجوار الشاب ويبدو أنه يستفسر منه عن طريقة التقاط ترددات الاشتراكات لشبكات الانترنت ، ولم يمض وقت طويل بل فقط عدة أيام حتى صار هذا الطفل الذي ربما لا يتجاوز العاشرة من عمره يجلس على ناصية أخرى من ذات الطريق ويحملق بعينيه ويعبث بأصابعه في جهاز محمول لديه ، ويستمر على هذا الحال وقتا لم أرقب مداه.

إن استغراق الطفل بهذا الأسلوب بعيداً عن متابعة الوالدين ظاهرة خطيرة تستحق الاهتمام ولا عذر للوالدين أمام نفسيهما بأن العمل ومسؤوليات الحياة وكثرة الالتزامات هي السبب وراء انشغالهما عن الأبناء، ولا يدركان حجم المسؤولية التي من المفترض أن يوليانها لمن هم في أشد الحاجة لهما، ويعتقدان بأن ما تسمى بـ (الأجهزة الذكية) هي أفضل خيار ليكون الطفل أمام ناظريهما دون الخوف من خروجه من المنزل، فما بالك وحالة طفلنا هذا.

فإذا ما أمعنت النظر في طفلك بداخل البيت وهو في حالة استغراق (يفرك) أصابعه بحركاتٍ لا إراديةٍ متكررةٍ من تأثير الإدمان على مثل هذه الأجهزة وما تحتويها من ألعاب، ولا تكاد تمرّ بضع دقائق إلا وتسمع له صرخةً من جراء خسارته لعبةً ما أو ما شابه ذلك، حين تراقبه تجده يعيش عالماً افتراضياً غير عالمنا ويتصرّف بعيداً عن واقعه المحيط فيه.

إن هذه الأجهزة التي أصبح تعلق أبناؤنا بها لا حدود له تشكل خطراً محدقاً بالأبناء لا يستشعره الكثيرون بعد، بل إني رأيت بعض الآباء والأمهات يعتبرونها الحل الأمثل لحل مشكلة وقت فراغ الأبناء حتى وإن طال استخدامها لعدة ساعات ووصلت مرحلة الإدمان (اللامعقول).

> **علينا أن نحسن استثمار هذا الغرس لعل الله ينفع به هذه الأمة الجريحة ، وينقذ بهم هذه الأوطان المنكوبة ، ويكتب لنا بحسن استثمارهم الأجر والثواب**

هذا المثال هو صورةٌ حقيقيةٌ لما ابتُلي به مجتمعنا خلال السنوات القليلة الماضية وأصبح (يستفحل) بطرقٍ مخيفة، حيث لا تكاد تجد بيتاً إلا ويُعاني من هكذا مشكلة، حتى أمسينا نسمع عن انتشار الأمراض العصبية والنفسية بين الأطفال بشكلٍ متزايد.

جميعنا يدرك بأن شبكات الانترنت تحوى من البرامج المختلفة والمتنوعة الكثير منها المفيد ومنها السيئ، كما نعلم جميعاً بأن استخدامها في حدود المعقول من الوقت، واستغلالها فيما هو مفيد للأبناء وتحت إشراف الوالدين أو أحدهما، يعتبر إيجابياً ومساعداً ومكمّلاً أيضاً في طرق التربية والتعليم المختلفة، ما لم يتجاوز الهدف والغاية التي من المفترض أن يرسمها ولي الأمر، وحتى لا يصبح أطفالنا ضحايا لهذا النوع الجديد من الإدمان .

إن الاستثمار في الأطفال هو أغلى استثمار عرفته وستبقى تعرفه البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل، فعلينا أن نحسن استثمار هذا الغرس لعل الله ينفع به هذه الأمة الجريحة ، وينقذ بهم هذه الأوطان المنكوبة ، ويكتب لنا بحسن استثمارهم الأجر والثواب.

التدخين..إدمان وعناد

السيد إبراهيم أحمد

يحمدُ الصحيح ربَّه تعالى عندما يسمع ذلك السُّعال الذي يشبه النُّباحَ الصاعد من صدر المدخِّن، واللاَّفت للانتباه أن أكثر من يدخِّنون من الفقراء والعامة والدَّهْماء، ويتصوَّرون أن الحل إنما يكمُن في بعض آهات يخرجونها مع دخان التَّبغ، هي التي ستحلُّ كافَّة المشاكل، ومَن رأى نهايات السَّاسة والمفكرين والأدباء وغيرهم، عَلِم أن التدخين كان الضالع بنسبة كبيرة في التعجيل بنهاياتهم، دون أن يحلوا مشاكل البشرية المعقَّدة التي يزيدها التدخين تعقيدًا.

لقد شاعَتْ ظاهرة التدخين كأسوأ الظواهر السلبيَّة التي لازمت الإنسان مسيرة حياته على الأرض، في الوقت الذي يغيبُ فيه عن المدخن عدة حقائق هامة؛ منها: أن التدخين يُسهم في قتل نصف عدد المدخنين عالميًّا، وأنه بدخانه يسهم في قتل أقل من مليون من البشر، وأن ٩٠٪ يصابون بالانسداد الرئوي نتيجة مباشرة للتدخين، كما ثبَت أن التدخين يترك بصمتَه على الشفرة الوراثية لجزيء الحمض النووي، مما سيسهم – حتمًا – في تغيير النشاط الجيني للإنسان، وهذا معناه إصابة آلاف الجينات بالسرطان.

أما المدخن العربي فلا يعلم أنه يسهم بنسبة تزيد عن المليار دولار يصبُّها في خزينة شركات السجائر؛ إذ بلغت نسبة المدخنين من الذكور ٥٠٪ ، بينما الإناث ١٨ ٪، والمؤسف أن التدخين أصاب عددًا كبيرًا من الأطباء الأردنيِّين، كما أن هناك ستة ملايين سعودي يدخنون ويدفعون أكثر من ملياري دولار، بينما في قطر نسبة التدخين تصل إلى ١٢٪، ويسهم سبعة ملايين عراقي مدخن بنصف مليار دولار، كما يدفع ثلاثة مليون تونسي مدخن ربعَ دخلهم لبائعي التدخين.

إن التحايل على إقلاع المدخن عن التدخين لم يفلح في معظم الأوقات؛ إذ لم تفلح زيادة الضرائب على السجائر في حظر شرائها، كما لم تفلح المبالغة في رفع سعرها في الحد منها؛ ففرنسا التي رفعت الأسعار إلى ٣٠٠٪ لم تفلح إلا في خفض الإقبال عليها، ولقد أقدم رئيس تركمانستان على منع دخول التَّبغ البلاد، وإحراق الآلاف من علب السجائر، وأيضًا لم يفلح غير أن يحوِّلها إلى سوق سوداء يدفع المدخن في سبيل الحصول عليها أضعاف ما كان يدفعه.

ولم تفلح المساجد التي تهتزُّ منابرها كل جمعة بالتحذير من التدخين، وأن الشيطان والمبذِّر إخوان، كما لم تفلح التحذيرات الطبيَّة الصادرة في منشورات وتقارير وزارات الصحة، وأيضًا لم تفلح البرامج التي يقدمها التلفاز والتي تعرض بالصور والأفلام مصير دخان السجائر، وفعلها في أجهزة الإنسان الحسَّاسة، وإذا بالمدخنين يتابعون وهم يدخنون وكأنهم يشاهدون فيلمًا مسليًا ليس إلا، مع العلم أن الأحوال الاقتصادية لكثير من المدخنين لا تستقيم مع هذا التبذير اللعين، بل إن منهم من يستدين ويستهين، ولا يلين لأقوال الناصحين، ومن أفلحوا فتعلقوا بالوسائل البديلة من المخترعات الحديثة لتلهيهم عن التدخين تدريجيًّا لحين الإقلاع عنه نهائيًّا، إذا بهم يتعلقون بالبديل الدخيل حتى صار هو الأصيل، وذهبت المحاولة أدراج الرياح!

> **يجب أن نسلِّم في النهاية بأن التدخين ظاهرة متجذرة، لن يفلح في اقتلاعها النصيحة وحدَها ولا كل ما تفعله الأجهزة المختلفة**

الغريبُ أنك كلما اقتربت من مدخِّن وخاطبته بأسلوبٍ حسن يهش ويبش لك، أما إذا تطور الموضوع إلى حدِّ الإلحاح في النصيحة، علا الصوت حتى يصير الأمر صراخًا وفضيحة، فإذا هدأ ذلك المدخِّن من عراكه قليلا لعب على الوتر الإنساني لناصحه، بأنه لولا التدخين لكان كالثور الهائج، ولن يستطيع أن يتعامل مع البشر، ولا يعلم هذا المريض الجاهل أنه ثبت بالدليل العلمي أن التدخين لا يؤثِّر بالإيجاب في تحسين الحالة المزاجيَّة للمدخن أبدًا.

يبدو أن الإدمان يصيب أكثر المدخِّنين بحالة نفسية تحوِّلهم إلى مرضى بالعند أكثر من عناد الأطفال، فيرفضون الحق مع كونه حقًا، ويعلمون هذا، فأصبحوا حاملين لظاهرتين سلبيَّتين: التدخين والعناد، وعلى الرغم من مخاطبتهم بالنصائح الطبية، والحقائق العلمية، والأرقام والإحصائيات – فإنهم يبالغون في الإقبال على التدخين بأنواعه؛ محاولة منهم لرفض نصيحتك، أو الإحساس بالاستقلالية أو الاستعلاء.

يجب أن نسلِّم في النهاية بأن التدخين ظاهرة متجذِّرة، لن يفلح في اقتلاعها النصيحة وحدَها ولا كل ما تفعله الأجهزة المختلفة، فإن لم يكن الوازعُ من المدخِّن نفسه بالإقلاع عنها بإرادته، فلن تنجح أيُّ محاولة مهما حاولنا، غير أن ما لا يدرك جله لا يُترك كله، وما علينا سوى تضييق الخناق عليه؛ لكسب أنصار أكثر ممن يقلعون، والحمد لله هناك نتائجُ مبشِّرة، غير أنه يجب أن ندعم محاولاتنا بالدعاء لله أن ينقذ كوكب الأرض من قتلة أنفسهم ومَن حولهم من المدخنين.